التطريز والصوائت لدى الشعراء البحرينيين المعاصرين
علي عبد الله خليفة أنموذجًا

أحمد خليفة مسعود عمار
كلية الآداب الجوش –جامعة الزنتان

الملخص:

يهدف هذا العمل إلى التعرف على الدراسات البلاغية والإيقاعية العربية التي عاينت المسائل الصوتية، وبيان قيمتها في الشعر العربي المعاصر، والاهتمام بطرائق تجسيد الإنجاز الصوتي في قريض الشاعر البحريني المعاصر علي عبد الله خليفة، حيث تم الربط بين السمة التطريزية للبنى الصوتية، ومدى إسهاماتها في تشكيل المعنى الشعري وجمالياته وتأثيره، ودورها في منح الظواهر البلاغية العربية أبعادا أسلوبية، مختمرة في المستوى الصوتي لدى هذا الناظم.

سنحاول في هذا البحث وصف وتحليل الظواهر الصوتية وما ينجم عنها من ترددات إيقاعية مهمة، كما سنحدد أشكال التلاقي بين الملامح البلاغية والإيقاعية في شعر علي عبد الله خليفة انطلاقا من آلية الصوت الصامت والصائت وتقنيات إنجازه معمليا.

الكلمات الدالة: التطريز، الصوائت، شعراء البحرين.

SUMMARY

This work aims to explore Arabic rhetorical and rhythmic studies that have examined phonetic issues, highlighting their value in contemporary Arabic poetry. It focuses on the methods of embodying phonetic achievement in the poetry of contemporary Bahraini poet Ali Abdullah Khalifa. The study links the ornamental feature of phonetic structures to their contributions in shaping poetic meaning, aesthetics, and impact, and their role in giving Arabic rhetorical phenomena stylistic dimensions,

matured at the phonetic level in this poet's work.

In this research, we attempted to describe and analyze phonetic phenomena and the resulting significant rhythmic frequencies. We also identified the forms of convergence between rhetorical and rhythmic features in the poetry of Ali Abdullah Khalifa, starting from the mechanism of consonant and vowel sounds and their laboratory execution techniques.

Phonetic Ornamentation: This includes the balance between similar sounds in weight and morphology, enhancing the text's aesthetics and increasing its impact on the audience.

Repetition: This relies on various types (repetition of letters, words, sentences) to highlight a particular idea or to add a musical rhythm to the poetic text.

Keywords: Phonetic Ornamentation, Contemporary Bahraini Poetry, Ali Abdullah Khalifa, Ornamentation Features, Rhyme, Rhythm.

المقدمة:

يُعالج علم وظائف الأصوات وتشكيلها / الفنولوجيا في مجال الشعر العربي البناء الصوتي، والصيغ الصرفية البانية للقول الموزون، والاشتقاقات المعيارية، وطريقة ارتباط كل صوت بغيره، وتراتبه، والاستدلالات المنبثقة عن معجمات هذا القريض، والعلاقة بالمستوى الصرفي، والنمو اللغوي؛ فالبنى الشعرية العربية تتكون من بنى صوتية وظيفية، وصرفية متنوعة الجذور والزيادة والإلحاق (سَأَلْتُمُونِيهَا)، وتركيبية قوية السبك، ودلالية رصينة الحبك.

يَدْرسُ هذا الحقل الصوتي الوظيفي :

1 _ قواعد بناء الوحدات الصرفية المشكلة للقريض.

2 _ تراتب الحروف العربية صوتيا بالاعتماد على وظيفتها الصرفية.

3 _ دور هذه الحروف في بناء الكلمة الشعرية المعبرة.

تَقومُ الدراسة الصوتية الوظيفية المعملية للشعر العربي على الأصوات المشكلة

لمعجماته وسياقاته المتنوعة: التي تنقسم إلى أربعة أقسام:

1 _ السياق الثقافي: تربط بين الكلمات علاقات متنوعة، مثل استعمالات كلمة (عين)، (ضَرَبَ) حسب استعمالات ومقاصد متنوعة.

2 _ السياق العاطفي: تبرز ثنائية القوة والضعف المترجمة لعدة انفعالات: ذبح / قتل.

3 _ السياق الثقافي: طرائق استعمال الطبقات الاجتماعية للغة: عقيلة، نجل،

4 _ سياق الموقف: ربط استعمال الكلمات بالمحيط من خلال ظروف الزمان والمكان: في هذا اليوم الأغر، في عصرهم المجيد، يقوم الليل كله ...

يَسْتندُ العمل إلى :

أ _ أصوات اللغة العربية بأكملها

ب _ تراكيبها المختلفة المسهمة في تشكيل كلمات معجم القريض

ج _ عمليات التغيير والاستبدال والحذف والإضافة إلى الأصوات

يَسْعَى هذا العلم إلى دراسة وظائف الأصوات الشعرية للتمييز بين المباني والمعاني. إنه يمثل عملا محوريًا يهتم بمقاربة الشعر العربي المعاصر، لأنه يطلعنا بصورة علمية وتقنية معملية دقيقة على طرائق بناء وتوظيف النسق اللساني الواصف بمختلف علاقاته ووظائفه التداولية(1)

لَقَدْ انطلق هذا العلم في أوربا بشكل علمي رصين وسمين مع ظهور حلقة براغ اللسانية البنيوية الوظيفية التي استندت إلى ثنائيات مؤسس اللسانيات الحديثة، العالم السويسري الذائع الصيت، فردينان دو سوسير في دراسة الأصوات اللغوية، فقد توصل بعض تلاميذه وأتباعه الشكليون المتعاقبون إلى تحديد الصفة التمييزية بين الأصوات / الحروف البانية لأنساق اللغات الطبيعية. نجد عدة فروع لسانية بنيوية

أخرى تابعة للمدرسة البنيوية في اللسانيات تنحو النحو عينه (التوزيعية، النسقية) للتعامل مع الأصوات اللغوية.

اِهْتمَّ التيار اللساني البنيوي التوزيعي بزعامة زليج هاريس وليونار بلومفيلد في أمريكا، ولوي طنيير في أوروبا بالثنائيات البنيوية المعروفة: (الدال / المدلول، اللغة / الكلام، البعد التزامي (الوصفي) / البعد التعاقبي (التاريخي) للغات، محور المركبات / محور التبادل ، الصوائت / الصوامت ، الحضور / الغي لبعض القيم ...)، أما التيار النسقي / الغلوسيماتي فقد شاع وذاع صيته في حاضرة كوبنهاگن ببلاد الدانمارك على يد لوي يلمسلاو ، وقد كان يمثل حلقة لسانية بنيوية شكلية أيضا، لكنها كانت موغلة كثيرا في الثنائيات والتفريعات والتجريدات الرياضية.

تَتَّصلُ الأصوات اللغوية ببعضها اتصالاً وثيقًا في جميع اللغات البشرية لتشكيل نسق لساني صوتي اتصالي مرصوص العلاقات والوظائف التي يعبر بها كل قوم عن أغراضهم المتنوعة.(2)

تَرْتكزُ دراستنا اللسانية النصية للأعمال الشعرية للمبدع البحريني المعاصر علي عبد الله خليفة إلى رصد أنواع التطريز الصوتي من خلال تقصي العلاقات العضوية الإيجابية، والملامح الخلافية للتمييز بين أي صوت / حرف وآخر، ولو من جانب واحد على الأقل، وقد يكون أكثر من جانب

قدْ يرتبطُ المخرَجُ الصوتي الواحد بأكثر من حرف، وقد يوصف الحرف بأكثر من صفة واحدة، لذلك من المستحيل أن يتفق صوتان في جميع أنواع التقابل / التضاد على مستوى المخارج والصفات والوظائف العملية، وهو ما يحقق بكل وضوح سمة التمايز القائمة بين الأصوات البانية لأنساق اللغات البشرية التي يمكن معرفة صفاتها وتمايزها من خلال جانبين مهمين:

أ _ جرد صفات الصوت كاملة.

ب _ الاعتماد على الملامح المميزة للصوت فقط.

يَنْفردُ حرف (ص) بصفة الصفير، ولا يماثله في ذلك إلا حرفان هما (س) و (ز)، حيث يتفقان معه في المخرج الأسناني اللثوي، ثم نجد صفة الإطباق التي ترتبط بالحرفين الآخرين معا، وهو ما يميز حرف (ص) بصفة الإطباق التي تشكل الفرق بينه (3) .

يَقومُ تشكيل وتحديد ملامح النسق الصوتي الوظيفي العربي على العلاقات التقابلية بين المعطيات الصوتية التي تسهم في التمييز بين عناصر المجموعة الواحدة على مستوى المخارج أو الصفات أو هما معا، لأنّ الدلالات اللغوية تتبدَّى تدريجيا انطلاقا من بناء الخطاب إلى الجملة إلى الكلمة، فالصفة المميزة الصغرى التي تجسد السمة الوظيفية المميزة للصوت / الحرف بكل قيمه، فإذا اختلفت كليا عن حرف آخر فإنها تعبر عن السمة الفردية، كالجهر والهمس، أو الشدة والرخاوة، أو الشفوية، أو الغنة. يَسْتندُ الحرف العربي إلى وحدة لغوية صغيرة تضارع نفسيًا أو ذهنيًا الصوت المنجز الذي يوظف في التحليل اللساني، وهو ما يمنح صورته اختلافات صرفية، ونحوية، واصطلاحية، ودلالية، تعمل بصفة كونها سمة أو علامة تحمل إشارة إيجابية، أو سلبية ذات طبيعة صوتية وظيفية، لكنها لا تتحقق بصورة منعزلة. إن وظيفتها تكمن في التمييز بين الكلمات ومنحها ملامح لغوية مختلفة، صرفية ودلالية، تقول:

عِنْدكَ / عِنْدَكِ

يبرز جليًا التمييز الصرفي، والنحوي، والدلالي بين الاستعمالين؛ فحرف (كَ / كِ) يجسد وحدة صوتية قادرة على التمييز بين معاني الكلمات، كما أنها تحمل وظيفة

مركبة تترجم عن طريق أصوات الكلام وعلاقة الإنجاز بين الوحدات على مستوى معين، وكذلك الوحدات الأخرى المسهمة في بناء الخطاب.

مفهوم الحرف والصوت في اللغة العربية

يُعدُّ مفهوم الحرف أهم الملامح اللسانية الصوتية لدى اللغويين العرب القدماء، فقد ورد ذكره عند بن جني (192 هـ)، وابن سينا (828 هـ)، فهو يشكل لديهما كيانًا صوريًا مجردًا. ولا ينحصر مفهوم الحرف العربي في الصورة الكتابية التي نخطها بالقلم، فهذا مجرد رمز كتابي، وليس الحرف أيضا ما ننطقه بألسنتنا في أثناء الكلام، فهذا مجرد صوت. إن الحرف العربي يتصل معرفيًا بمجال الفهم

مشكلة البحث:

تطرح مشكلة موضوعنا سؤالا جامعا مانعا، وهو: كيف تتجلى سمات التطريز الصوتي في شعر المبدع البحريني المعاصر علي عبد الله خليفة؟

ترتبط بهذا السؤال المحوري جمهرة من الأسئلة الفرعية، نذكر منها:

أ_ ما علاقة التطريز الصوتي بظواهر البديع؟

ب _ كيف تتجلى أنواع السجع في شعر هذا الناظم؟ ج _ هل التطريز ضرورية شعرية مقننة؟

د _ كيف يصطفي علي عبد الله خليفة أنواع التطريز ليوظفها داخل خطابه الشعري؟

هـ _ هل يتميز الشاعر عن أنداده في هذا المجال؟

أهمية هذا العمل:

يمكن جمع هذه الأهمية في النقط التالية:

أ _ التطور الأدبي: يطرح الشعر العربي المعاصر التحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي شهدها العالم العربي في العصر الحديث. تسهم دراسة هذا الشعر

في فهم طرائق تفاعل الشعراء مع هذه التحولات وكيفية تعبيرهم عنها بأساليب وتقنيات جديدة ومبتكرة.

ب _ التجديد الفني: عرف الشعر العربي المعاصر تجديدًا في الأشكال والأساليب الشعرية، مثل الانتقال من الشعر العمودي إلى الشعر الحر وقصيدة النثر. يترجم هذا التجديد تطور الذائقة الأدبية، ويعزز تنوع الأدب العربي.

ج _ التأثير الثقافي: يؤدي الشعراء العرب المعاصرون مثل نزار قباني ومحمود درويش وأمل دنقل، ومظفر النواب، وغيرهم، لعبوا دورًا كبيرًا في تشكيل الوعي الثقافي والسياسي لدى الأجيال الجديدة. دراسة أعمالهم تساعد في فهم تأثيرهم العميق على المجتمع والثقافة.

د _ التحليل النفسي والاجتماعي: الشعر العربي المعاصر يوفر مادة غنية للتحليل النفسي والاجتماعي، حيث يعبر عن مشاعر وأفكار وتجارب الأفراد في سياقات مختلفة. وهذا يمكن أن يكون مفيدًا في مجالات مثل علم النفس والأدب المقارن.

الأهداف:

تشمل أهداف هذا البحث عدة جوانب مهمة، منها:

1 _ تحديد سمات شعر علي عبد الله خليفة: فهم الخصائص والملامح التي تميزه أنداده من حيث تقنيات الإبداع، والأسلوب الشخصي.

2 _ تحليل تطور المضمون والموضوع لدى الناظم: دراسة كيفية تطور المواضيع والمضامين في شعر الشاعر بالموازنة بينه وبين زملائه من المبدعين.

3 _ استكشاف الأسلوب الشخصي المجدد: تحليل الابتكارات والتجديدات في الشكل والبنية الشعرية، مثل استعمال تقنيات جديدة التراكيب والنظم، وحسن استغلال اللغة الشعرية الواصفة.

4 _ التحليل اللغوي والأدبي والبلاغي: تقديم تحليل شامل لأعمال الشاعر من الناحية اللغوية والأدبية والبلاغية والنقدية.

5 _ فهم تأثيرات الثقافة المعاصرة: دراسة طريقة تجسيد قصائد علي عبد الله خليفة للتغيرات الثقافية والاجتماعية والسياسية في العالم العربي.

الحدود

إنها تضم عدة عناصر:

_ **الحدود الزمنية:** ترتبط بفترة إنجازنا لهذا البحث، وتقع بين 6 / 5 / 2023 و12 / 3 / 2023

_ الحدود المكانية: تتصل بأحياز جمع، ومطالعة الكتب المتخصصة، ومكان تحرير البحث النهائي.

_ الحدود الموضوعية: تعانق وصف وتحليل ظاهرة التطريز الصوتي في شعر علي عبد خليفة من مملكة البحرين ...

الفرضيات:

تعتمد على الجوانب التالية:

_ نجد أن العلاقة قوية بين ظاهرة التطريز الصوتي ومسألة السجع البلاغي.

_ ليست هناك أية علاقة تذكر بين التطريز الصوتي ومسألة السجع البلاغي.

المنهجية

سيطبق الباحث منهجية وصفية تحليلية تلائم طبيعة أعمال الشاعر، ومقاصد الحث وغايته.

الدراسات السابقة

أنجز الباحث الجزائري بلقاسم بودنة عام 2022 بحثا موسوما ب (الموازنات

الصوتية في الشعر العربي القديم: تمثيلها البلاغي وأداؤها الإيقاعي). يهتم هذا البحث إلى التعريف بالدراسات البلاغية التي عالجت المسائل الصوتية وملامحها الخاصة في مجال الشعر العربي. وقد درس الباحث طرائق تجسيد الإنجاز الصوتي للشعر، حيث ربط بين القيمة التطريزية للبنى الصوتية، و مدى إسهامها في تشكيل المعنى الشعري و جمالياته و تأثيره، و دورها في منح الظواهر البلاغية أبعادا أسلوبية، تقبع في المستوى الصوتي، مثلما حاولت تلك الدراسات في وصف الظاهر الصوتية و ما يتولد منها من ترددات إيقاعية مهمة، و حددت أشكال التلاقي بين البلاغي و الإيقاعي في الشعر انطلاقا من آلية الصوت، و لعل الموازنات الصوتية تجسد تجلياتها البلاغية و الإيقاعية بشكل ملفت للانتباه ؛ إذ تنبه الدارسون قديما و حديثا إلى أهمية التطريز الصوتي في البناء الشعري، و بما ينتجه من أشكال جمالية فنية، لها أبعادها البلاغية و التأثيرية.

قدمت سعاد بودلالة عام 2019 ضمن العدد السادس عشر من مجلة كلية الآداب بجامعة لخضر بتيسة بمدينة غرداية، دراسة موسومة ب (التوازنات الصوتية في نماذج مختارة من الشعر النسائي الجزائري المعاصر). هذه الدراسة تركز على التوازي الناتج عن الهندسة الصوتية للنص الشعري، وكيفية تحقيق اتساق النص الشعري وانسجامه مع الإيقاعات الداخلية وأبعاد التجربة الشعرية.

نشر الباحث المصري خالد بديوي عام 2018 دراسة بعنوان (الموازنات الصوتية في الشعر العربي القديم). تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالدراسات البلاغية والإيقاعية التي عاينت المسائل الصوتية، وبينت قيمتها في الشعر العربي، واهتمت بطرائق تجسيد الأداء الصوتي للشعر، والتوازن الصوتي بين التكرار والتوازي في شعر ليلى الأخيلية: تعتمد هذه الدراسة على التكرار والتوازي الصوتيين في النص

الشعري، وكيفية استدعاء الطاقات الانفعالية والتأثيرية لدى المتلقي.

عرض الدكتور محمد العمري في كتابه القيم (الموازنات الصوتية في الرؤية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية) دراسة مستفيضة عن الموازنات الصوتية: موضوع الموازنات الصوتية من منظور بلاغي وشعري.

الحرف والصوت في اللغة العربية

يُعدُّ مفهوم الحرف أهم الملامح اللسانية الصوتية لدى اللغويين العرب القدماء، فقد ورد ذكره عند

ابن جني (192 هـ)، وابن سينا (828 هـ)، فهو يشكل لديهما كيانًا صوريًا مجردًا. ولا ينحصر مفهوم الحرف العربي في الصورة الكتابية التي نخطها بالقلم، فهذا مجرد رمز كتابي، وليس الحرف أيضا ما ننطقه بألسنتنا في أثناء الكلام، فهذا مجرد صوت. إن الحرف العربي يتصل معرفيًا بمجال الفهم أو الإدراك، أو الحدس، وهو يجسد قسمًا متميزًا في مجال التحليل الصوتي الوظيفي للغة الطبيعية (4) .

تَقبلُ حروف النسق الصوتي العربي عملية الاستبدال مكان بعضها: مثلا (قام) و (نام) و (عام)، فحرف (ق) في (قام) و (ن) في (نام) و (ع) في (عام) تحل محل بعضها، فيتغيّر المعنى تبعا لذلك الصوت الجديد، كما يمكن أن نقابل بين الصوائت الطويلة نحو: (سليم/سلام، سميع /سماع، كلام/كليم)، فالصوت يقبل عملية الحلول مكان الصوت الآخر رغم أنهما حرفان مختلفان، وهذا ما يعرف (بمبدأ التفاضل) في التراث العربي.

تَمتزجُ كل وحدة صوتية عربية بأخرى، وما يميزها عن غيرها هو هذا الفرق الذي يصنع الصفة

الخلافية؛ فالعناصر الصوتية تتشكل بوساطة العلاقات المتبادلة لعدد من أنواع

التضاد والتقابلات البانية للنسق الصوتي التداولي العربي. تخلق وظيفة هذا التقابل الصوتي ترابطا وتماثلا بين المباني والمعاني، فالوقف يجسد وظيفة السكون وقيمته البارزة، والفاعلية تحقق وظيفة الاسم المرفوع، والمطاوعة تعبر عن وظيفة الانفعال، وهو ما يجعل المعنى يشكل وظيفة المبنى (5).

يَملكُ مفهومُ الحرف الموظف في النسق الصوتي الوظيفي العربي صورة نفسية متميزة تتجلى من خلال عدة صور؛ فالصوت المفخَّم الذي يصحب الألف في (طاب) لا يقبل صوتا مرققا لهذه الألف، لأنّ الطاء المفخمة لا تتلوها ألف مرققة في اللغة العربية المعيارية، كما أن التقابل يحقق مبدأ إجرائيًا يسهم في ضبط الملامح الصوتية الوظيفية الخاصة باللسان العربي المعياري، وهو ما يؤسس التحليل الوظيفي للصوت في مجالي التفخيم والترخيم، لكن الصوت المفخم الذي يصحب الألف في (طاب) لا يقبل صوتا مرققا للألف، لأنّ الطاء المفخمة لا تتلوها ألف مرققة في اللغة العربية المعيارية، كما أن التقابل يحقق مبدأ إجرائيًا يسهم في ضبط الملامح الصوتية الوظيفية الخاصة باللسان العربي المعياري، وهو ما يؤسس التحليل الوظيفي للصوت في مجالي التفخيم والترخيم، فالصوت العربي تتغير قيمته الوظيفية، كما في ظاهرتي (الرَّوم) و (الإشمام)، مما يتصل بمستوى إجراءات الإنجاز الصوتي التداولي، وليس مستوى إجراءات كفاية النسق العربي المعيارية، لذلك فالحرف العربي يعبر عن فئة رياضية متميزة الملامح والقيم. إنه يدل على وحدات تنبع من نسق خاص، يجعلها تعانق أقسامًا ذهنية متميزة.

يَرْتبطُ مفهوم الرَّوم بإنجاز ثلثي الحركة بصوت خفي يسمعه القريب المصغي دون البعيد، حتى يذهب معظم صوتها فتسمع لها صوتًا خفيًّا. يكون عند الوقف؛ أي في الحرف المتحرك دون الساكن، وفي سائر المعنى لا يخفى على أحد.

أما مفهوم الإشمام فيقصد به ضمُّ الشفتين بعد إسكان الحرف دون أي تراخ، وترك فرجة بينهما لخروج النفس حتى يراه المُبصر دون الأعمى، ويقع ذلك في الحرف المضموم عند الوقف، ويقصد به الإشارة إلى أن حركة الحرف الموقوف عليه هي الضمة. يستعمل الشم والروم في الحروف المدغمة والمتقاربة كما في قول البارئ سبحانه: ﴿**نصيب برحمتنا**﴾.

تتُشكلُ الحركاتُ الطويلة والقصيرة في اللسان العربي المعياري حروفًا تقع تحت مدلول موحَّد، حيث يقابل الصوت / الفونيم، كما توظف في هذا النحو ثنائية (صوامت/ سواكن صوائت / متحركات) لإنجاز الحروف الوظيفية، وهو ما يقصى تأرجح المصطلحات الصوتية (6).

نَسْتخلِصُ مما سلف أنّ النسق الصوتي الوظيفي العربي المعياري يميز بين الحروف بالاعتماد على مظهرين بارزين هما:

1 _ مخارج الحروف ومبانيها المعتمدة على تقسيمات عضوية وصوتية وما ينتج عنها من ملامح تمييزية

، لذلك نجد أن مخرج حرف (غ) و (خ) ينطلق من أدنى الحلق ليحقق سمة تمييزية بإزاء المخارج الأخرى الأربعة عشر في العربية المعيارية.

2 _ ارتباط صفات الحروف ومعانيها بوظائف الوحدات الصوتية وما ينتج عن ذلك من ملامح تمييزية، غير أن الغين والخاء لا تتمايزان حسب المظهر الأول، لأنهما تنبعان من المخرج عينه، ولذلك يتدخل المظهر الثاني لتحقيق التقابل بين الصفات، وكل من الحرفين يعدُّ رخوًا، حيث تضاف صفة أخرى؛ لأن الغين مجهورة، والخاء مهموسة، وفي هذه الحال يتحقق التمايز الصوتي المبين ...

الحرف المتحرك والحرف الساكن في اللسان العربي

لقدْ ميز اللغويون العرب القدماء بين الحرف المتحرك والحرف الساكن، وهو تمييز صوتي وظيفي بارز وناجز:

أ_ حروف صائتة: لا يمكن تحميلها أكثر من حركتين

ب _ حروف صامتة: يمكن تحميلها الحركات الثلاث، فمثلا: (قَتَلَ / قَتْلٌ) هما كلمتان مختلفتان من حيث التحريك والتسكين؛ فالكلمة المحرَّكة فعل والثانية اسم. والسكون (من الناحية الفيزيائية هو صوت محسوس) لا وجود له، أما من ناحية النسق الصوتي الوظيفي العربي فإنه يؤدي دورًا مهمًا، لأنه يقاس بالملامح الخاصة بالحركات في هذه اللغة.

يُميزُ السكون في اللغة العربية بين المعاني بوساطة عملية التقابل والاستبدال المتاحة حسب وظيفتين:

الوظيفة الأولى: إنه يشكل في حال جزم الفعل المضارع الصحيح الآخر دليلا يتقابل وظيفيًا مع الفتحة.

تُؤدّي القيم التمييزية الصوتية دورا وظيفيًا يساعد على الفصل بين الصوامت والصوائت العربية،

فالحرف الصائت يؤدي وظيفة محددة تميز بين صيغ ودلالات الألفاظ، لأن قيمته الموجبة تجعله يقوم

بوظيفة معينة نظرا لغيابه أو حذفه، وقد تكون قيمته وظيفية سالبة، لأنها قد تحققت من خلال القيم الصوتية الوظيفية العربية (7).

تُعدُّ الحركات القصيرة والطويلة جوهرية في تحويل الصيغ الصرفية الاشتقاقية العربية المختلفة المشكلة للمادة الواحدة، نحو:

كَتَبَ، كَاتِبٌ، مَكْتُوبٌ، ٱلْكِتَابَةُ، كُتِبَ، مَكَاتِبٌ، كُتُبٌ

يَتضحُ مدى أهمية دور الحركات في خلق الوظائف المتصلة بتركيب هذه الصيغ الاشتقاقية الصرفية العربية. قد تتولد القيمة الصوتية بوساطة تعديل حركة معينة، أو أكثر بالاعتماد على صيغتين صرفيتين تنبعان من أصل واحد، ففي الفعل الماضي الثلاثي المستعمل في صيغة المبني للمعلوم (كَتَبَ: فتحة + فتحة) تقابلها في صيغة المبني للمجهول (كُتِبَ: ضمة+ كسرة + فتحة). تؤدي هذه الحركات أدوارًا وظيفية تميز بين الكلمات بمعية الصور الاشتقاقية الصرفية الخاصة.

مفهوم التطريز اللساني

يَظْهرُ هذا المفهوم عن طريق التماثل اللغوي الذي يعتمد على المساواة بين المباني والمعاني المرصوصة البينان، وتطابق الكلمات المعجمية، أو العبارات والملفوظات، أو الأصول التي يحكمها توزيع صوتي واحد، وهو ما يخلق إيقاعًا وتنغيمًا يشارك في خلق ترابط النص الشعري وتماسك عناصره. يجسد التطريز اللساني إحدى صور الجمال لدى الناظم، لأنه يجوِّد الإيقاع ويجعله ناضرًا آسرًا، كما أنه يصل بين مكوناته ويقيم منها صرحًا لغويًا شامخًا.

يُثيرُ مفهوم التطريز اللساني / التوازن في شعر علي عبد الله خليفة مشكلة بارزة المتغيرات ومستفزة علميا، لأنها تثير جمهرة من التساؤلات العميقة:

أ _ ما الوسائل اللغوية التي يوظفها هذا المبدع لجعل معجمه الشعري ينشئ عملا فنيا مستفزًا، يكون قادرا على تحقيق اللذة النصية لدى القارئ والإحاطة بمقاصده والتأثير فيه بعمق؟

ب _ كيف يتفاعل مستويات الصوت والصرف والتركيب والدلالة لإنتاج أنواع التطريز اللساني لدى الشاعر وعرض أهم تجلياتها الموجهة لأعماله؟

ج _ هل تقتصر ظاهرة التطريز على المستوى الصوتي فقط لدى الشاعر، أم أنها تؤدي دورا خاصا يرتبط بمشتقاته الصرفية، وبسبك بنى نصوصه الشعرية تركيبيا وحبكها دلاليا؟

د _ كيف تستطيع مقاربتنا اللسانية النصية التطبيقية والصوتية الوظيفية المعملية رصد تقنيات الإبداع الشعري لدى علي عبد الله خليفة، وتنظير هذه الظاهرة اللسانية التداولية معرفيًا وبيان قواعدها وتجلياتها الوظيفية من خلال المدونات المدروسة؟

يَتميزُ التطريز اللساني المشكل لشعر علي عبد الله خليفة بملامح خاصة (8):

1 _ التوافق الصوتي / الانسجام والتركيب الشعري المستقل

2 _ التشكيل اللغوي العربي الجامع للمستويات اللغوية المتفاعلة والمنضدة

3 _ الإيقاع والتنسيق المتواصل للقول المنظوم

4 _ ثنائيات تركيب القريض وما فوق ذلك

نقصد به النسق الابستمولوجي الذي يطرح نظرية معرفة قويمة تضبط الأسس، والمبادئ، والمشكلات الوظيفية والمنهجية، والمفاهيم المتصلة بالظاهرة المدروسة وتطبيقاتها التقنية.

يَمْلكُ التطريز اللساني معايير وشروطا محددة تتوزع بصورة منسقة عبر أعمال علي عبد الله خليفة، وهي:

أ _ الحيز المكاني المستغل

ب _ صغر حجم البنية الموظفة

ج _ التسلسل والتفاعل

د _ الإيقاع المتسق

أنواع التطريز اللساني في المجال الشعري

: يُؤَدِّي هذا المفهوم اللساني وظائف مهمة يمكن تقسيمها حسب الأنواع التالية

أولا) التطريز الصوتي الشعري، ويضم:

أ _ التطريز اللفظي: يتبدَّى عبر عدة فروع وأجزاء، كالتكرار الكلي، التكرار الجزئي، المشترك اللفظي / الجناس.

ب _ التطريز التركيبي / النحوي: يظهر من خلال فروع السجع (المتساوي، المتوازي، المطرف، المتفاوت، لزوم مالا يلزم، المرصع) (9).

ثانيا) الترديد

ثالثا) التصدير (إرجاع العجز إلى الصدر

رابعا) المزاوجة

خامسا) التجزئة

سادسا) التسميط

سابعا) الجمع مع التقسيم

ثانيا) التطريز الصرفي: يرتكز على الاتفاق في الوزن

ثالثا) التطريز التركيبي: يضم فروعا خاصة (اللفظي، الحركة الإعرابية، النظمي / الاتفاق في البنية النحوية).

رابعا) التطريز الدلالي: يحوي التطريز الدلالي (الترادف، التقابل)، والتركيبي (إعادة الصياغة، المقابلة

دور التطريز الصوتي في تماسك النص الشعري

يرْبطُ التطريز الصوتي بين البني الشعرية بالاستناد إلى علاقتي المماثلة والمخالفة الصوتية بين دوال ومدلولات القريض لخلق تماسك متين وحصين بين مكونات

النص، حيث تستدعي عناصر هذا التطريز بعضها لتتناغم وتتكاثف كالسلسلة المتواصلة العروات، وهو ما يجعل النص الشعري يتوالد ويتطور بصورة بارزة. تتحقق الروابط والصلات الوشيجة بين الوحدات اللغوية عبر مراحل إنجاز النص، فيتعاقب تطوره ونموه باستمرار واتساق مبين، وهو ما يجعل الإيقاع يوطد استقرار النص، ويدعم سبكه التركيبي، ويطرز سطحه ويزينه بعمق وأصالة (10).

يُعدُّ التطريز الصوتي المتسق العلاقات والوظائف أهم دعائم بناء الشعر العربي؛ فهو يشبه آلة موسيقة يعزف عليها الناظم بمهارة وإثارة لاستمالة المتلقي وزرع اللذة النصية الناضرة الآسرة بين جوانحه، كما أن التقسيم المنضد لمكونات التطريز يحقق الإيقاع والتنغيم المنسقين، الأمر الذي يفضي إلى شيوع عمليات الترابط والاتصال بين مكونات النص الشعري.

يُجسدُ التطريز اللساني قالبًا أسلوبيًا شعريًا شخصيًا ينتشر داخل نصوص علي عبد الله خليفة، وهو ما يجعله يشبه دور الإيقاع الرائق المهيمن على أعمال هذا الناظم؛ لأنه يحتوي على وظيفة جمالية وهاجة، ولذلك فإن جمال هذا التطريز الشعري يعتمد لدى المبدع على جودة السبك التركيبي وخفة وقعه على السمع. إنه يمثل فنًا صوتيًا أصيلا يطرب الأسماع، ويحضن الخيال، ويستند إلى تراث خليجي محلي زاخر ومتفاعل ثقافيا (11)، يعتريه التلحين المنسق الذي يستفز ذهن المتلقي وينير فكره ومقاصده ويبين ملامح الدلالة والتأويل لديه.

يُشكلُ التطريز الصوتي إنجازًا أسلوبيًا شخصيًا لدى علي عبد الله خليفة، فهو ذو وظيفة إيقاعية، تساعد على بناء المعاني، كما أن أنواعه الأخرى (الصرفي، التركيبي، الدلالي) تسهم في تنمية واتصال واسترسال وتوسيع وتلميع الصورة التشكيلية الإبداعية وتجويد معماريتها وتنشيطها. إنه يمثل انزياحًا صوتيا يرتكز عليه

الشاعر بقوة ليمنح لغته الواصفة صورًا متنوعة، يتوخى من ورائها التأثير في المتلقي وإقناعه بشدة.

يُؤسسُ هذا النوع من التطريز خطابًا عربيًا بصريًا، وتقنية صوتية حجاجيه في مجال القريض تسلب الأحاسيس، وتأسر فكر المتلقي، كما أنه ينشئ ضربًا لسانيًا يترجم سمة أسلوبية ذات طاقة انفعالية واسعة، تؤثر في المخاطب، وتستنفر خياله وتستفزه بعمق وصدق، لذلك فهو يتربع على قمة الدوال الشعرية السمعية الرصينة.

المدونة الشعرية في ضوء تقنيات معمل الأصوات

لا تَتوفرُ حاليًا الكتب والدراسات والبحوث الأكاديمية اللسانية النصية والصوتية الوظيفية المعملية الرصينة المتعلقة بشعر علي عبد الله خليفة، فبعض المقاربات العلمية القليلة التي أنجزت ضمن هذا النسق المعرفي، أو لامست بعض المشكلات أو المسائل الصوتية الوظيفية / الفنولوجية كانت مقتضبة وعرضية وغير إحصائية، لذلك فإننا سنعالج بعض مدونات هذا الناظم بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي العلمي والإحصائي للوصول إلى حقائق علمية ثابتة، تصف عدة نماذج وظيفية ترتبط بالصوائت العربية ، كصور الأشعة، وصور التسجيل المرئي، والتحليل الفيزيائي للأصوات البانية للقول الشعري، كما سيتم استعمال التحليل الطيفي والترددات لمعالجة بعض الصوائت التي ينجزها هذا المبدع لبناء قسط من كلمات معجم قريضه، وتحليل الموجة المركبة للكلمات الشعرية ورسمها مع التحليل الإحصائي في بعض الأحيان، أو من دونه (12) .

إنَّ تحْليلنا لبعض النماذج الصوتية المستقاة من مدونات الشاعر يعد دليلاً قاطعًا على تفرد ووجاهة عملنا العلمي الأكاديمي في هذا الحقل المعرفي، فلم يتطرق أي عمل عربي أو أجنبي إلى هذا النوع من الوصف والتحليل اللساني النصي

والصوتي الوظيفي / الفنولوجي المعملي إلى دراسة الكمية الزمنية في الصوائت لدى هذا الناظم، والتقنين العلمي، حيث يقل توظيف أجهزة معمل الأصوات بمعية تقنياتها الحديثة الرائدة في تحليل أبيات ومقاطع الشعر العربي المختلفة الظواهر الصوتية، وهو ما قمنا

بتطبيقه على الصوائت (الألف والواو والياء)، لأن الفرق الأساسي بين أغلب الصوائت العربية في هذا العمل العلمي هو فرق طيفي، لأنه يتم عرض موجات كلام القريض بأبعادها الثلاثة (التردد، الشدة، الزمن 13).(

نعالجُ عينة من الصوائت المصطفاة من كلمات معجم الناظم تبعا لقاعدة بيانات علمية موحدة وجامعة للوصول إلى نتائج علمية دقيقة وسليمة، حيث يظهر علو صوت الشاعر أكثر من أصوات الشواعر البحرينيات اللائي يعاصرهن، وهو ما يحدد ملامحه الصوتية في أثناء إنجازه أو إلقائه لبعض قصائده، أو مواويله خلال عدة مناسبات، أو ملتقيات ثقافية متنوعة.

والملاحظ أن إنجازاته الشعرية لمختلف الصوائت والصوامت العربية تملك الارتفاع عينه، فلا ترتبط بمراحل عمره.

: يمكن حصر قاعدة البيانات الموظفة في المفاهيم والإجراءات التقنية التالية

لَقَدْ تطلَّب تطبيق هذا المنهج التحليلي الصوتي الوظيفي المعملي الاستعانة بحنكة، ورصانة، وإنجازات باحثات زميلات وباحثين زملاء وأتراب متخصصين في تقنية الحاسوب والبرمجيات والإحصاء الاجتماعي، واستغلال عدة تقنيات واستشارات أخرى رائدة لها أربابها الراسخون فيها، وفي قيم العالم الافتراضي الثلاثي الأبعاد.

اِسْتعملَ فريق العمل عدة تقنيات حاسوبية، ومعملية، ومفاهيم ومصطلحات، وقاعدة بيانات، ومقارنات بين تحليل الكمية الزمنية في شعر علي عبد الله خليفة وشعر

شعراء أجانب أنتجوا أعمالهم باللغة الإنجليزية والفرنسية، وطبق على مدوناتهم المنهاج نفسه، مع مراعاة خصائص اللسان العربي، وإقصاء الإسقاطات المنهجية والرطانة السطحية. نجد المقاربات الصوتية المعملية الوظيفية التالية المطبقة على الصوائت المترددة في أعمال هذا الناظم البحريني تنحو النحو ذاته:

الملامح الوظيفية لصوت / لِ / المكسورة في بداية كلمات المدونة الشعرية المدروسة

تَتشكلُ الكلمة العربية من مجموعة الأصوات المنسقة التي تحمل معنى معين. فالصامت هو الحرف، والصائت هو الحركة القصيرة أو الطويلة.

يُطلقُ علماء العرب أحياناً على صوتي الواو والياء (أشباه الصوامت) :

... _ الياء: نيْئ، بيْن، قيْد، بيْت

الواو: لوْم، ثوْم، صوْم، نوْم ...–

كمَا نصادف في هذا المجال مفهوم (أنصاف الصوائت)، ويقصد به: صوتا الواو والياء الصامتين، وينعتان بهذا الاسم، لأنه يحدث عند النطق بهما أن يمر الهواء محدثاً نوعاً خفيفاً من الاحتكاك يقربهما من الصوامت، ولذلك يصنفان ضمن الصوامت، فقد يصادف مرور الهواء بعض الحرية، وهو يقربهما من الصوائت (الحركات).

يَتميزُ مخرج صوت اللام / ل / لدى علي عبد الله خليفة بالجهر، وهي صفة تتجلَّى حسب التقنيات المعملية بملاحظة اهتزاز الوترين الصوتيين، كما أن هذا الإنجاز الصوتي يرتبط بتنوع الأغراض والقضايا الشعرية ومقتضى الحال، وهو ما يحقق صفة التفخيم أو الترقيق لصوت اللام لدى هذا المبدع. يمثل التفخيم والترقيق صفتين متخالفتين، فالصوت الغليظ يكون مفخمًا، وجميع أصوات الاستعلاء والإطباق تعد

مفخَّمة في العربية، وهي: / خ /، / ص /، / ض /، / ط /، / ظ /، / غ /، / ق /، / ل /، وتقابلها الأصوات المرققة التي بها استِفالٌ مبينٌ عند علماء التجويد.

تَتبدَّى صفة التفخيم حسب درجات القوة البارزة في السياق الصوتي الذي يتحقق من خلاله الصوت، فهناك صوتان في اللسان العربي يفخَّمان في سياقات صوتية ويرَقَّقان في سياقات أخرى، وهما: اللاَّم والرَّاء (14).

يَقومُ الشاعر بتفخيم أو ترقيق صوت اللام حسب نوع السياق ومقتضى الحال، أو طبيعة الموال ومقاصده، فهو ينتجه كما في المدوَّنة المذكورة / لِحاء/، / لِسان /، / لِقاء / بالاستناد إلى مخرج جانبي، يجعل الهواء ينطلق من جانبي اللسان في حين يلتصق طرفه بالنَّطِع.

الملامح الوظيفية لصوت / ي / بمعية المد بالكسر في كلمات المدونة الشعرية المدروسة

يَنجز صوت الياء المدِّية التي تشكل بعض مكونات كلمات المدوَنة الشعرية لدى علي عبد الله خليفة بإخراجها من الجوف مع إسهام وسط اللسان في العمل، وهو ما يجعل هذا الصوت يمتد داخل الجوف، أما وسط اللسان فيرتفع ويدنو من غار الحنَك الأعلى، فتكون وضعية اللسان عند نطق صوت الياء المدِّية مماثلة لنطقه الياء الطبيعية، مع الفرق في التصادم بغار الحنَكِ في أثناء إنجاز الياء الطبيعية، أما في أثناء إنجاز الياء المدِّية فيستقل عن غار الحنَك

تَطرحُ هذه المسألة العلمية سؤالين مهمين:

_ كيف ينجز الشاعر هذه الياء المدِّية الواردة في كلمة / هضيم / بشكل معياري فصيح غير ذي عوج، وما يماثلها من كلمات واردة في مدونة قريضه الهائل المتعاقب، المتنوع الأغراض والسياقات؟

_ هل يمكننا الموازنة بين الكمية الزمنية لإنجاز الصوائت لدى هذا الشاعر وأنداده من شعراء البحرين بالنسبة لعينة الكلمات المشتركة بينهم؟

يتَطلبُ هذا الإنجاز الصوتي الوظيفي الاعتماد على بعض المظاهر:

1 _ التحكم في عملية تصادم مخرج الحرف الذي يسبق الياء المدِّية لانبثاقها عن مد حركة الحرف السابق، ألا وهو امتداد الكسرة، ولذلك لا بد من حدوث المجانسة في أثناء المجاورة والارتباط.

2 _ الاهتمام بالتباعد عن الجوف: يتطلب إخراج كسرة الحرف الذي يسبق الياء المدِّية ترك مخرج الحرف والتوغل صوب الجوف لإنجاز الياء المدِّية بمعية الكسرة.

3 _ وضعية وسط اللسان: يرتفع ويدنو من غار الحنَك دون تصادم أو التصاق لاجتناب امتداد الصوت، وهو يحقق إنجاز الياء بصورة سليمة وقويمة.

4 _ ضرورة وجود تباعد طبيعي بين الفكَّين دون مبالغة بما يوازي نطق الهمزة، وهذا التباعد لا يخص حرفا واحدا، بل هو خاص بحروف المدِّ الثلاثة، كما أنه يساعد على وجود الفراغ لكي يمتدَّ الصوت بيسر ومرونة.

5 _ وضعية الشفتين: تكونان في وضعهما الطبيعي فلا تعملان عند نطق الياء المدِّية، فالتغير يحصل في وضعية اللسان، أما الشفتان أو خفض الفك السفلى فلا يرتبط بهذه الوضعية. فعند استعمال الفك السفلي أو الشفة السفلى لنطق الياء المَدِّية يحدث تحول في صوت الياء فتخرج عن فصاحتها، لأن وضعية الفكِّ في هذه الحال تكون غير ثابتة، حيث يتبدل شكل الفراغ الذي يمر فيه الصوت للنطق بالياء المَدِّية.

6 _ التحكم في وجهة الصوت: يمتدُّ هذا الصوت داخل الجوف الرابط بين المخرج السابق للياء المدِّية،

، وحتى جوف وسط اللسان الذي يحتل الفراغ الموجود بين غار الحنَك، وهو ما

يجعل وسط اللسان يرتفع عند نطق الشاعر بالياء المدية، فتخرج من الجوف مع معاضدة وسط اللسان.

قدْ يصبحُ المدُّ عارضًا إذا تم الوقف على السكون في الآخر بعد حرف المد، ولو تم وصل الكلمة المنجزة بما بعدها فإن السكون يزول، ويجب أن تحرك هذه الكلمة بحركتها قبل الوقف، فتقول (الخائبين، الخاسرين، كريم، حكيم، صديق، رفيق ...) (15).

الملامح الوظيفية لصوت / ا / وسط الفعل المعتل في المدونة الشعرية المدروسة

يرتبطُ إنجاز صوت / ا / في هذين الفعلين اللذين صرَّفهما الناظم في زمن الماضي / نَامَ / و / قَامَ / بالجانب الصوتي والصرفي، فوزْنهما الأصلي هو / فَعَلَ /، وقد حذفت عين الفعلين التي تتكون من حركة سابقة ولاحقة (الفتحة وألف المد): / نَامَ /، / قَامَ/، وأصلهما / نَوِم / و / قَوِم (16). /

إنَّ صيغَ الفعل المعتلِّ الأجوف المصرَّف في زمن الماضي ترد كلها على وتيرة واحدة، كما أنَّ الحركة القصيرة في بعض الأفعال تشير إلى أصل الألف فيها.

ومثالُ الفعل المعتل الأجوف الذي أصل عينه الواو قد قلبت ألفاً: / نَامَ /، قَامَ /

الخاتمة:

لقد تجلت لنا مدى أهمية التطريز الصوتي في شعر علي عبد الله خليفة، حيث تم التأكيد على دور أنواع هذا التطريز الصوتي في تعزيز الجماليات الشعرية وإبراز المعاني العميقة في النصوص الشعرية. يمكن الإشارة إلى كيفية تأثير هذا التطريز في الإيقاع الداخلي للنص الشعري ومدى انسجامه مع التجربة الشعرية لهذا المبدع البحريني.

وقد ظهر التأثير البلاغي والإيقاعي، حيث تم توضيح كيفية إسهام التطريز

الصوتي في تحقيق التوازن بين الجوانب البلاغية والإيقاعية في الشعر، مما يعزز من تأثير النص على المتلقي ويضفي عليه طابعًا فنيًا مميزًا.

التوصيات

_ اقتراح مجالات بحثية مستقبلية يمكن أن تتناول جوانب أخرى من التطريز الصوتي في الشعر العربي، مثل دراسة تأثيره في أنواع مختلفة من الشعر أو في فترات زمنية مختلفة.

الخلاصة: تلخيص النتائج الرئيسة التي توصل إليها البحث، مع تأكيد أهمية التطريز الصوتي كأداة بلاغية وإيقاعية في شعر علي عبد الله خليفة، ودورها في إثراء النصوص الشعرية وإبراز جمالياتها.

الهوامش والمراجع:

1 _ جون كوهن، (النظرية الشعرية بناء لغة الشعر واللغة العليا)، ترجمة أحمد درويش. دار غريب، القاهرة، دط.

2 _ حسن ناظم، البنى الأسلوبية، دراسة في " أنشودة المطر" للسياب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

1988 ، 3 _ رومان جاكبسون، قضايا الشعرية ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون دار، توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 1

4 _ ابن رشيق القيرواني أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،1971، ج 1، المكتبة التجارية الكبر ى، مصر، ط 1

5 _ الرباعي عبد القادر، صريع الغواني، مسلم بن الوليد،) حياته وشعره (، عالم الكتب الحديث، إربد، باشتراك جدار للكتاب.2337، العالمي، عمان، الأردن، ط 1

6 _ السجلماسي أبو عبد الله محمد القاسم، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، 1983. المغرب، ط 1

7 _ صلاح يوسف عبد القادر، في العروض والإيقاع الشعري، منشورات الأيام، الجزائر، ط 1، 1991.

8 _ عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1982

9 _ عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 2

10 _ عبد الله التطاوي، الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط.

11 _ حامد مزعل حميد الراوي، المكونات الصوتية للإيقاع وانماطه في الشعر والنثر، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1997

مواقع الانترنيت

12_ asjp. cerist.dz

13_ asjp. cerist.dz

_ archive.org

15_ search. emarefa.net

16_ theses-algerie.com